بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 87 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:15\05\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

قبل أن ندخل نقطة جديدة، لقائل أن يقول يوجد في القرآن الكريم ما يقتضي أن نحمل اللام في قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ على انتهاء الغاية، أي بمعنى إلى.

الشاهد على ذلك: آخر آية في سورة يونس، قال: ﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ﴾[1] فهنا ﴿حَتَّى﴾ بمعنى إلى أن، أي بمعنى لانتهاء الغاية. هذا الشاهد قد يستشهد به لحمل اللام على الغاية.

لكن في تلك الآية في سورة يونس إذا حملنا حكم الله سبحانه وتعالى على قضائه بموت النبي الأعظم ﷺ أو على قضائه بقيام الساعة، فهذا معناه أنه ما دمت حياً اصبر، لا أنه سيأتي بعد قليل فترة لا تحتاج فيها إلى الصبر، بل ما دمت حياً وما دمت تجاهد وتكد في هذه الحياة فأنت تحتاج إلى صبر.

ولكن في الآية التي نبحث عنها الأمر ليس كذلك ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ فهي لا تدل على أن هذا الحكم هو الحكم والقضاء على بقاء النبي ﷺ أو وفاته ﷺ، فلا يصلح ذلك شاهداً على هذه الآية.

وإنما الظاهر ما ذكرناه من وجود فرق بين الآيات التي تعدّت باللام إلى الحكم ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وبين الآيات التي تعدت بـ (على) على فعل الكفار ﴿اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُون﴾[2] حيث ما كان مرتبطاً بفعل الكفار عدّاه بـ على، وما كان مرتبطاً بحكم الله سبحانه عدّاه باللام.

هذا ما يمكن أن يستظهر من هذه الآية المباركة.

النقطة الثانية: الارتباط بين الجملتين في الآية

---

[1] يونس: 109

[2] ص: 17

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ جملة أمر ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ جملة نهي.

نلاحظ أن إحداهما قد عطفت على الأخرى، وفي عطف الجمل نحتاج إلى تناسب، والتناسب والارتباط بين الجملتين باعتبار أن إحداهما تدل على الأخرى، فإن الأمر بالصبر يستبطن عدم إطاعة المخالفين؛ لأن الانجراف نحو المخالف هذا يعني أن صاحب الدعوة لم يكن عنده قدرة على التحمل، فأمره بالصبر يستبطن النهي عن الانجراف معهم في أفكارهم وفي اعتراضاتهم وما شابه ذلك.

فقوله: فاصبر لحكم الله يدل بالالتزام على النهي عن إطاعة المخالفين، فجاءت الجملة الثانية ونصت على هذا المدلول الالتزامي، وهذا ما يسمى في علوم البيان بالتذييل، وهو أن تُعقّب جملة بجملة أخرى تدل على معناها، فقد تكون الدلالة على المعنى بالمطابقة وقد تكون بالالتزام. فذكر في علوم البلاغة هذا الشيء بشكل مفصل، مثلاً: ﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقا﴾[3] فدلت عليها بالمطابقة، ولكن في كثير من الأحيان تكون الدلالة بالالتزام.

ما نحن فيه من هذا القبيل، وهذا الأسلوب إنما يستعمل لأجل تأكيد الفكرة واستقرارها في ذهن المخاطب، حيث دلّل عليها مرتين، مرة في الجملة الأولى مطابقة أو التزاماً ومرة بالجملة الثانية. وما نحن فيه منها القبيل.

فإذاً يوجد ارتباط بين الجملتين، فلأجل ذلك عطف جملة النهي على جملة الأمر.

الحاصل: أن في هذه الآية يوجد قانونان موجهان إلى النبي ﷺ ومن ورائه لكل سائر على طريق الحق:

القانون الأول: على صورة الأمر.

القانون الثاني: على صورة النهي.

وهذا يرجع في الواقع إلى تركيز أمرين:

---

[3] الإسراء: 81

الأمر الأول: تركيز على قوة الإنسان، قوة السائر في طريق الحق، لكي ينجح ويصل إلى مبتغاه لابد أن يكون عنده قدرة على التحمل والصبر.

الأمر الثاني: ترجع إلى المحيط والبيئة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ فكل ملتزم بالسير على طريق الحق فالصعوبات التي تواجهه والضعف الذي يعرض عليه منه ما ينشأ من قبل ذاته كأن يكون خاملاً كسولاً ناحياً نحو الدعة والراحة ولا قدرة له على تحمل المشاق. وعامل آخر ينشأ من المحيط والبيئة، مجابهة أهل النفاق، أهل الباطل وما شابه ذلك.

فجاء هذان القانونان ليحكم بهما الأمر للوصول إلى المطلوب. فهناك نقطة قوة في داخل الإنسان هي الصبر. وهناك نقاط ضعف تنشأ من البيئة المحيطة أو هناك تهديدات تنشأ من البيئة المحيطة، فلا بد أن يقوّي هذ الأمر الأول في داخله، ويكون ذلك بالصبر والقدرة على التحمل، وأن يواجه تلك التهديدات ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

وذلك باعتبار أن ما يمنع الإنسان من الوصول إلى أهدافه إما هو عنصر ذاتي كالخمول والضعف كضعف العزيمة وضعف الإرادة والوهن فهذا نواجهه بالصبر، وإما أن ينشأ من عنصر خارجي. فالآية الشريفة بهذين القانونين -الأمر والنهي- أشارت إلى هذين العنصرين.

النقطة الثالثة: الفرق بين الآثم والكفور

قوله ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ وفي هذا المقطع يوجد عدة بحوث، لكن اليوم نبحث في الفرق بين الآثم والكفور.

الآثم من الإثم، واستعراض هذه المفردة في القرآن الكريم يبيّن لنا أنها تدل على مطلق المعصية سواء كانت تلك المعاصي ترتبط بأفعال الجوانح أم ترتبط بأفعال الجوارح، فلذا في القرآن قُسّم الإثم إلى ما هو ظاهر وما هو باطن. فكل معصية هي إثم، فالآثم هو المقدم على المعاصي والذي يرتكب المعاصي.

الكفور من الكفر، والكفر في اللغة هو إنكار النعم وجحودها، ولذا الكفر بالمصطلح القرآني يطلق على غير الكافر بالمصطلح الفقهي. كثير من الآيات القرآنية تعبّر كما في آية الحج ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾[4] فليس من الضروري أن نحملها على أنه لا يعتقد بالله سبحانه وتعالى، فجحد نعمة الله سبحانه وتعالى، فجحوده هذا أدى إلى عدم إطاعته في بعض الفروع. فالكفر يرجع إلى جحود النعمة.

فمن هذا الباب يكون كل كفور هو آثم، ليس كل آثم هو كفور. قد تكون المعصية لم تنشأ من جحود نعمة الله سبحانه وتعالى وإنكار آلائه وما شابه ذلك.

في القرآن الكريم أطلق الإثم على كثير من المعاصي كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً﴾[5] أطلق الإثم على فعل الجوانح وهو الشرك، في سورة البقرة: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[6]، وفي سورة الأنعام: ﴿وَذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَباطِنَه﴾[7]، وفي البقرة أطلق على الخمر والميسر أنه إثم كبير ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِير﴾[8].

فإذاً الإثم شامل لتمام المعاصي، فهي لفظة عامة ترتبط بكل معاصي، فتشمل معاصي القلب ومعاصي الجوارح. وأما الكفور فهو بحسب المصطلح القرآني يطلق على جاحد النعم، والذي ينكر الربوبية هو جاحد لنعمة الخلق؛ لذا سمي بالكافر. والكفر بحسب أصل اللغة بمعنى الستر، وهذا ليس محل الكلام عنه.

النقطة الرابعة: في الكفور استعمل صيغة المبالغة، وفي الإثم لم يستعمل صيغة المبالغة، فلم تقل ولا تطع منهم أثيماً أو كفوراً، فلو قال أثيماً كانت صيغة فعيل التي تأتي للمبالغة، وإنما قال: ﴿آثِماً﴾ وهي اسم فاعل وليست صيغة مبالغة.

وكذا لم يقل ولا تطع آثماً أو كافراً، بل قال ﴿آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ فما هو الوجه في أن في مفردة الإثم استعمل صيغة اسم الفاعل وفي مفردة الكفر استعمل صيغة المبالغة؟

---

[4] آل عمران: 97
[5] النساء: 48
[6] البقرة: 283
[7] الأنعام: 120
[8] البقرة: 219